بديع الزمان النورسي و إكمال نظرية النظم

الدكتور هادي رضوان

Hadi Rezwan[1]

الملخص

يعد النظم القرآني الركن الأول في بيان إعجاز القرآن عند بديع الزمان النورسي. و هو في دراسة هذه النظرية معجب بعبد القاهر الجرجاني أيما إعجاب، و خصوصا في كتابه "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" سعى النورسي لتطبيق هذه النظرية في تفسير الآيات الكريمة. و لكنه لا يكتفي بهذا الحد ، و المتأمل في رسائله يرى أنه استطاع أن يكمل و يوسع هذه النظرية.

لا يبقى النظم عند النورسي في مستوى الجملات فقط، بل يتوجه إلى دائرة أوسع و أشمل. فهو يبحث عن نظم المقاصد القرآنية و نظم الخيوط المترابطة و نظم الفذلكات و التكرار في دوائر النظم و إرسال النظم.

الكلمات الأساسية: النورسي، نظرية النظم، المقاصد القرآنية، التفسير، إعجاز القرآن

ABSTRACT

al-Nazm in Quran is accepted as the first pillar in statement of miracles of the Quran when Bediuzzaman Nursi. He is admire Abd al-Kaher al-Jurjanî in the study of this theory. Nursi, especially in his book "İşarat al-I'jaz fi Mazân al-lcaz" tries to apply this theory in the interpretation of the verses. But not content with this limit, and the meditator in his letters that he could see that complements and expands this theory.
Do not stays al-nazm at Nursi in only Al-jamalat level, but heading to a broader and more comprehensive circle. He is looking for al-nazm of purposes of Quranic and al-nazm of threaded correlated and al-nazm of redundancy.

[1] Yrd. Doç. Dr. Kürdistan Üniversitesi Edebiyat Fak. Arap Dili ve Edebiyatı Bölümü, Senendec, İran.
hadirezwan@yahoo.com

العنوان: ايران- محافظة كردستان- مدينة سنندج- جامعة كردستان- كلية الآداب و العلوم الانسانية

Key words: Nursi, theory of al-nazm, purposes of Quran, interpretation, Ijaz of Quran

مدخل

الحمد لله رب العالمين و الصلوة و السلام على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين

لا شک في أن الأستاذ النورسي كان من الشخصيات الاسلامية الفذة و من العلماء الصالحين و العرفاء العاملين ، آتاه الله خيراً كثيراً و بارک في حياته حتى استطاع أن يحمل كل هموم المسلمين في عصره، فإنهم تعرضوا لهجوم فكرى عنيف و الأستاذ النورسي استطاع أن يقابل بنبوغه و صدقه و إخلاصه تلک الهجمات الجارفة و أن يدحض تلک الأفكار الفاسدة و الفلسفات المتناقضة و أن يدافع عن الإسلام و القرآن و أن يبين الوجوه المختلفة لإعجازه.

فإنه في المرحلة الأولى من حياته – تلک المرحلة التي سمى الأستاذ فيها نفسه سعيداً القديم – حاول أن يدرس العلوم الإسلامية و الانسانية دراسة وافية شاملة و أن يطلع على آثار الأدباء و البلاغيين من أمثال الجاحظ و الزمخشري و الرازي و أبي السعود و السكاكي و الجرجاني و غيرهم، ثم بنى على أساس هذه الثقافة الغنية المتعددة الأطراف بناء متكامل الأركان قوي الدعائم يتجلى في المرحلة الثانية من حياته و في شخصية سعيد الجديد.

و من بين هؤلاء العلماء الأفذاذ أعجب النورسي بإمام البلاغة و الأدب عبدالقاهر الجرجاني أيما إعجاب و بنى عمله القيم في تفسير القرآن على نظرية النظم التي بينها الجرجاني و دعا اليها في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) .

و يشير الجرجاني في دلائل الإعجاز(2000: صص 385-392) إلى أن الوصف المعجز في القرآن ينبغي أن يكون وصفاً قد تجدد بالقرآن و أمراً لم يوجد في غيره و لم يعرف قبل نزوله. و إذا كان كذلک فقد وجب أن يعلم أنه لا يجوز أن يكون في الكلم المفردة و لا في معاني الكلم المفردة و لا في ترتيب الحركات و السكنات و لا في المقاطع و الفواصل و لا في الإستعارة و المجاز و غيرها.

و ربما كانت الخلافات الكلامية والإعتقادية من بواعث ترغيب الجرجاني إلى البحث عن هذه النظرية.فإن كثيراً من المعتزلة – و لا كلهم – كانوا من اللفظيين، القائلين بإن الفصاحة إنما تظهر في ضم الكلمات بعضها إلى بعض. و الجرجاني يرد عليهم و يثبت أن عباراتهم تستلزم القول بأصالة المعنى أولاً و قبل كل شيء " و ذلک أنهم قالوا : أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات و إنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة . فقولهم : الضم لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما ؛ لأنه لوجاز أن يكون لمجرد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة لكان ينبغي إذا قيل : (ضحک خرج) أن يحدث في ضم (خرج إلى(ضحک) فصاحة . و إذا بطل ذلک لم يبق إلا أن يكون المعنى في ضم الكلمة إلى الكلمة توخيَ معنى من معاني النحو فيما بينهما. و قولهم على طريقة مخصوصة يوجب ذلک أيضا ، و ذلک أنه لا يكون للطريقة أذا أنت أردت مجرد اللفظ معنى. و هذا سبيل كل ما قالوه إذا أنت تاملته، تراهم في الجميع قد دفعوا إلى جعل المزية في معاني في النحو و أحكامه من حيث لم يشعروا ذلک لأنه أمر ضروري لا يمكن الخروج منه" (الجرجاني، 2000: صص 395-394).

فيستفاد من كلام الجرجاني هذا، أمور. منها: لا يجمع أمر غير توخي معاني النحو شملَ الكلمات المتفرقة في الكلام، و منها:أنه لابد عن ترتيب المعاني في النفس أولاً و ترتيب الألفاظ في النطق ثانياً و هذه هي عملية النظم(ينظر: الدغامين، د. تا: ص 28). و منها أن النظم و توخيَ معاني النحو ليس بمعنى إهمال الألفاظ في الكلام و لا بمعنى" إخراج ما في القرآن من الإستعارة و ضروب المجاز من جملة ما هو به معجز" (ينظر:الجرجاني، 2000: ص 393) غاية الأمر أن هذه الألفاظ لا ينظر إليها خارجةً عن النظم.

و اتبع بديع الزمان النورسي سبيل الجرجاني و جعل نظريته ركناً من أركان منهجه التفسيري الشامل المتكامل بل أس أساس هذا المنهج، مصرحاً باسمه مراراً في رسائله. فالنورسي معترف بأنه سار في عمله على هدي من هذه الجهود المباركة و أن الفضل للمتقدم قائلاً:" إن منشأ نقوش البلاغة إنما هو نظم المعاني دون نظم اللفظ كما جرى عليه اللفظيون المتصلفون و صار حب اللفظ فيهم مرضاً مزمناً إلى أن رد عليهم عبدالقاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة و حصر على المناظرة معهم أكثر من مائة صحيفة . و نظم المعاني عبارة من توخي المعاني النحوية فيما بين الكلمات . أي إذابة المعاني الحرفية بين الكلم لتحصيل النقوش الغريبة. وإن أمعنت النظر لرأيت أن المجرى الطبيعي للأفكار و الحسيات إنما هو نظم المعاني"(النورسي، 2008، إشارات الإعجاز: 118).

و هذا لا يعني أن الألفاظ ليس لها دور في الإعجاز القرآني، فبلاغة الإعجاز عند النورسي - و هو في ذلک يتبع الإمام الجرجاني- مبنية على ثلاث قواعد: اللفظ و المعنى و النظم. و لكن اللفظ لا يمكن أن يتصور في هذه الدائرة من دون النظر إلى المعنى و من دون النظر إلى النظم الذي هو توخي المعاني النحوية. و لهذا جعل بلاغة النظم على قسمين:

" قسم كالحلية و قسم كالحلة. فالأول كاللآلي المنثورة و الزينة المنشورة و النقش المرصع، و معدنه الذي يتحصل منه هو توخي المعاني النحوية الحرفية فيما بين الكلم كإذابة الذهب بين أحجار فضة؛ و ثمرات هذا النوع هى اللطائف التي تعهد بيانها فن المعاني . و القسم الثاني هو كلباس عال و حلة فاخرة قدت من أسلوب على مقدار قامات المعاني وخيطت من قطعات خيطاً منتظماً فيلبس على قامة المعنى أو القصة أو الغرض دفعة و صناع هذا القسم و المتكفل به فن البيان(نفس المصدر: 113).

مهما يكن من أمر فإن النورسي أولاً و قبل كل شيء أراد أن يطبق هذه النظرية في تفسير آي القرآن الكريم؛ ففي المرحلة الأولى من مراحل حياته – المسمى هو فيها بسعيد القديم –و تقريباً سنة (1913) شرع في كتابة مصنفه الشهير في تفسير القرآن بإشارات الإعجاز في مظان الإيجاز حيث كان يتناول المصحف و يبدأ في الشرح دون الإستشهاد بغير القرآن في التفسير (ينظر: واحدة،2007: 172-171) و هو في هذا الأثر المبارک يصرح باسم الجرجاني مراراً(صص: 113، 118،125،179،187)و في المقدمة و قبل أن يشرع في تفسير الفاتحة يأتي بغاية التأليف و يقول: " إن مقصدنا من هذه الإشارات تفسير جملة من رموز القرآن لأن الإعجاز يتجلى من نظمه و ما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم (النورسى، 2008، إشارات الإعجاز: 23).

و الجرجاني نفسه لم يأت بنظريته من لا شيء. و لو استعرضنا فكرة النظم لرأينا بذورها فيما كتبه النحاة و البلاغيون و مؤلفو كتب إعجاز القرآن . و كذلک نجد من غير العرب مَن عني بهذه الفكرة كأرسطو في" فن الشعر" (ينظر: الضامن، 1979: ص5 و أرسطو ، د. تا: صص 192-189). و عند ملة الإسلام بدأت هذه النظرية تتطور عبر العصور، فنجد البحث عند ابن قتيبة و الباقلاني و عبد الجبار المعتزلي و الخطابي ونجد أن عبدالقاهر الجرجاني استفاد مما كتبه هؤلاء فائدة كبرى(ينظر: مراد، 1982: صص 63058).

ثم إن النورسي آتاه الله خيراً كثيراً، فلم ينحصر عمله فيما أتى به الجرجاني من توخي المعاني النحوية فقط، بل حاول أن يكمل هذه النظرية بالإتيان بجوانب أخرى متعددة ترتبط بها، فهو يرى أن النظم القرآني هو الوجه الأول و الأظهر من وجوه إعجاز القرآن الكريم(ينظر: شكرى، د.ت:15) و هذا النظم له صلة وثيقة بالمقاصد الأساسية في القرآن؛ بل لهذه المقاصد أيضا نظم خاص، هذا من جانب، و من جانب آخر كل آية لها نظم خاص بها كما أن لكل سورةنظماً و هكذا بين سورةٍ و سورةٍ، حتى نستطيع أن نقول إن القرآن ككلٍ له نظم، و إنه نزل لتقرير المقاصد الأساسية المذكورة، فلا تجد فيه سورةًو لا آيةً و لا كلمةً إلا و فيها بيان لهذه المقاصد. فدائرة النظم القرآني أوسع و أشمل منها عند الجرجاني – و هذا من فضل الله يؤتيه من يشاء- و هذا المقال يبحث عن جوانب هامة من التفسير البلاغي عند النورسي يمكن أن يقال إنها إكمال لنظرية النظم عند الجرجاني.

1- نظم المقاصد في القرآن

يرى النورسي أن القرآن نزل لإثبات مقاصد أساسية هي مقتضى الحكمة الإلهية و هذه " العناصر الأصلية، أربعة: التوحيد و النبوة و الحشر و العدالة" (النورسي، 2008، إشارات الاعجاز:23) و المراد من نظم المقاصد أن القرآن يتوخى هذه العناصر مجتمعة لا ينفك بعضها عن بعض، فلا تجد سورةً و لا آيةً بل و لا كلمةً إلا و هي مضمنة هذه العناصر الأصلية . فعند النورسي" كما تتراءى هذه المقاصد الأربعة في كله، كذلك قد تتجلى في سورةٍ سورةٍ بل قد يلمح بها في كلامٍ كلامٍ بل قد يرمز إليها في كلمةٍ كلمةٍ . لأن كل جزءٍ فجزءٍ كالمرآة لكلٍ فكلٍ متصاعداً. كما أن يتراءى في جزءٍ فجزءٍ متسلسلاً . و لهذه النكتة، أعني اشتراك الجزء مع الكل، يعرف القرآن المشخص كالكلي ذي الجزئيات " (نفس المصدر:24). ففي كل كلمة من هذا الذكر معنى من التوحيد و النبوة و الحشر و العدالة ، كما أن القرآن كله صورة واضحة لكلٍ من هذه الأمور و لمجموع هذه الأمور أيضا. و على هذا ليس النظم – عند النورسي – توخي المعاني النحوية في الجمل فقط بل هو توخي هذه المقاصد الأساسية أيضاً، و كأنك ترى أنهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر.

ثم في تفسير البسملة و الحمدلة يشير النورسي إلى هذه المنظومة من المقاصد و يقول:

" ان قلت : أرني هذه المقاصد الأربعة في **(بسم الله)** و في **(الحمد لله)**، قلت:

لما أنزل **(بسم الله)** لتعليم العباد، كان (قل)مقدراً فيه، و هو الأم في تقدير الأقوال القرآنية. فعلى هذا تكون في (قل) إشارة إلى الرسالة و في **(بسم الله)** رمز إلى الألوهية.. و في تقديم الباء تلويح إلى التوحيد و في **(الرحمن)** تلميح إلى نظام العدالة و الإحسان و في **(الرحيم)** ايماء إلى الحشر(نفس المصدر :24). و هكذا يشير الى المقاصد الأساسية في الحمدلة:"و كذلك في **(الحمد لله)** إشارة الى الألوهية و في لام الاختصاص رمز الى التوحيد و في**(رب العالمين)** إيماء الى العدالة و النبوة أيضا. لأن بالرسل تربية نوع البشر و في **(مالك يوم الدين)** تصريح بالحشر"(نفس المصدر).

و لأن التفسير عند النورسي عملية متشعبة كثيرة الوجوه و لأنه لم يؤلف تفسيراً كاملاً مترابطاً يسير وفق منهج محدد، نرى أنه يشير إلى هذا النظم الدائر بين المقاصد إشارات سريعة لأنه يريد أن يشير إلى كثير مما في الآيات –أو ولا إلى كله- من دقائق النكت و بدائع الإشارات و لكنه يبقي المجال مفتوحاً للآخرين، لأن نظرته إلى التفسير نظرة شمولية و هو يقترح أن تكون لجنة من كبار العلماء المتخصصين تقوم بدراسة مستفيضة شاملة في كل جوانب القرآن الكريم. هل يصرح بتشكيل لجنة من كبار العلماء

2- نظم الخيوط المترابطة (دوائر النظم):

لا ينحصر النظم – في نظر النورسي- في الجمل المنفردة المستقلة ؟ فقط، و الدليل واضح عنده: فالقرآن و إن اشتمل على سور و السور على آيات، ولكن بما أن هذا الكتاب ينظر اليه ككلٍ يصور لنا المقاصد الأساسية، ينبغي أن لا تنفصل أجزاؤه. فالسور و الآيات كالخطوط المتشابكة المترابطة . ففي تفسير سورة الفاتحة يبين النورسي هذا النوع من النظم عند ما يتحدث عن **(صراط الذين أنعمت عليهم)**، فالآية لها ارتباط وثيق بالآيات الآخرى من نفس السورة. يقول: " إعلم أن نظم درر القرآن ليس بخيط واحدٍ بل النظم- في كثير- نقوش تحصل من نسجخطوط نسب متفاوتةٍ قرباً و بعداً، ظهوراً و خفاءً، لأن أساس الإعجاز بعد الإيجاز هذا النقش. مثلاً **(صراط الذين أنعمت عليهم)** يناسب: **(ألحمد لله)** لأن النعمة قرينة الحمد. و **(رب العالمين)** لأن كمال التربية بترادف النعم و **(الرحمن الرحيم)** لأن المنعم عليهم- أعني الأنبياء و الشهداء و الصالحين- رحمة للعالمين و مثال ظاهر للرحمة و **(مالك يوم الدين)** لأن الدين هو النعمة الكاملة و **(نعبد)** لانهم الأئمة في العبادة و

(نستعين) لأنهم الموفقون و **(إهدنا)** لأنهم الأسوة بسر**(فبهداهم اقتده)(الأنعام/ 90)**. و**(صراط المستقيم)** لظهور انحصار الطريق المستقيم في مسلكهم" (النورسي،2008، إشارات الاعجاز:ص 35-34).

فالنقش في عبارة النورسي هذه، أعم من أن يكون في جملة أو بين جملة و أخرى قريبة منها أو بعيدة، بعدها أو قبلها. و هذا ما سماه النورسي في موضع آخر دوائر النظم؛ يقول" وكذا الكلمات القرآنية أيضا ميدان نظم واسع مثل ذلك، كل تجاه الآخر. وكذا الكلام القرآني و لجمله دوائر نظم كتلك"(النورسي، 2008، الكلمات : 424). ثم يأتي النورسى في هذا المقام بمثال آخر، تفسيره فيه في غاية الروعة و الجمال، فيقول في تفسير سورة الإخلاص في الكلمة الخامسة و العشرين:

" هذه الآيات الجليلة فيها ست جمل: ثلاث منها مثبتة و ثلاث مهنا منفية . تثبت ست مراتب من التوحيد كما ترد ستة أنواع من الشرك.فكل جملة منها تكون دليلاً للجمل الأخرى كما تكون نتيجةً لها. لأن لكل جملة معنيين تكون باعتبار أحدهما نتيجةً و باعتبار الآخر دليلاً .أي أن سورة الإخلاص تشتمل على ثلاثين سورة [هكذا ثبت في الكتاب بالسين] من سور الإخلاص. سور منتظمة مركبة من دلائل يثبت بعضها بعضاً على النحو الآتي:

(قل هو الله) لأنه **(أحد)** لأنه **(صمد)** لأنه **(لم يلد)** لأنه **(لم يولد)** لأنه **(صمد)** لأنه **(أحد)** لأنه **(هو الله).**

و كذا: **(هو الله)** فهو **(أحد)** فهو **(صمد)** فإذن **(لم يلد)** فإذن **(لم يولد)** فإذن **(لم يكن له كفواً أحد)** و هكذا فقس على هذا المنوال" (نفس المصدر. 425-424)

فانظر كيف نسج النورسي من هذه الخطوط المعنوية من المناسبات و الإرتباطات. هذا النقش الإعجازي الرائع الذي يبهر العقول و يحيرها و يغرق الحواس و الإحساس في بحر جمالية القرآن. و يأتي النورسي بأمثلة أخرى من هذا القبيل (ينظر: نفس المصدر : صص425،151،150)، كل ذلك مبني على هذا الوجه المعجز الذي يراهالنورسي الوجهَ الأولَ و الأهَمَ في إعجاز القرآن. ثم إن هذا النقش المنسوج من الخيوط المتداخلة المتشابكة ليس ذلك النقشَ البسيط الموجود في جملة واحدة من دون نظر إلى غيرها، والنورسي يشير إلى هذه المسألة إشارة خاطفة حينما يقول: " لأن أساس الإعجاز بعد الإيجاز هذا النقش " (النورسي،2008، إشارات الاعجاز: ص 34)، فالنقش ههنا في المرتبة الثانية بعد الايجاز . ويقول في محل آخر: "... إشارة إلى نهاية الإيجاز الذي هو ثاني أساسي الإعجاز" (نفس المصدر:43) و الأساس الأول هناك نقش النظم الموجود في الجمل و العبارات. و معلوم أن ذلك، نقش بسيط بالنسبة إلى نظم الخيوط المترابطة. فلا يخفى أن النورسي أتم و حسن نظرية الجرجاني و هذا هو معنى الإكمال.

3- نظم الفذلكات

قد خصص النورسي لبيان هذا النظم و مزية إعجازه مبحثاً في "الكلمات" و أشار الى أنه اضطر إلى الإختصار و الإجمال و لو أراد لاستطاع أن يأتي بأكثر من هذا.

فهو سمى أواخر الآيات بما فيها الفواصل القرآنية أيضاً الفذلكاتِ و الخلاصاتِ،يرى في كل منها سراً عظيماً و أسلوباً بديعاً. ثم قسم هذه الفذلكات القرآنية إلى ثلاثة أقسام، لأنها إما تتضمن الأسماء الحسنى أو معناها و إما تحيل قضاياها إلى العقل و تحثه إلى التفكر و التدبر فيها، و إما تتضمن قاعدة كلية من مقاصد القرآن فتؤيد بها الآية و تؤكدها(ينظر: النورسي، 2008، الكلمات : ص 476و ما بعدها).

ثم يذكر لبيان هذه الأقسام، عشرَ إشارات يأتي فيها بأمثلة قرآنية مختلفة كل ذلك بالإجمال – على حسب قوله- و لا يتردد في أن يقول إن أكثر هذه الإشارات العشر تجتمع فيكُثر الآيات معاً مكونة نقشاً إعجازياً حقيقياً.

1- 3- الفذلكات المضمنة الأسماء الحسنى أو معناها

هذا القسم يشتمل على الآيات التي تتحدث عن أفعال الصانع وتعرضها على أنظار البشر في فقرات مختلفة ثم تلفها وتطويها في الخلاصة ضمن الأسماء الالهية، فالأسماء الإلهية توجز الأفعال و تجملها. و ربما تتحدث الآية عن نظام المخلوقات ثم في الخلاصة تكون الأسماء الإلهية مظاهرها. و قد تشير الآية الى الجزئيات المعرضة للتغير و التي تكون مناط مختلف الكيفيات والأحوال ثم لأجل تحويلها إلى حقائق ثابتة يقيدها ويجملها بالأسماء الإلهية(نفس المصدر: 477-481) و هكذا يأتي النورسي بأسرار مختلفة من هذا القبيل .

ومن أمثلة هذا القسم : **(قل من يرزقكم من السماء و الأرض أمن يملك السمع و الأبصار و من يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي و من يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فما ذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون)(يونس/ 31-32)**. فإنها أولا تسأل عن الذي هيأ السماء و الأرض و جعلها مخازن الرزق ثم عن مالك الأسماع و الأبصار ثم عن المحيى المميت ثم عن المدبر أمورَ الكائنات و شؤونَ هذا الكون العظيم. و يعلم الإنسان أن ليس هناك غير الله القادر و هم مضطرون لأن تقولوا **"الله"**. ثم في الفذلكة يأتي القرآن بخلاصة المقال و يقول: **(فذلكم الله ربكم الحق)**؛ أي أنه يري منبع تلك التصرفات العظيمة و مصدرها بذكر الأسماء الإلهية: الله، الرب، الحق(نفس المصدر:478).

2-3- الفذلكات المضمنة الإحالة الى العقل و الحث إلى التفكر

و الآية إذا كانت من هذا القبيل إما تتحدث عن أفعال الصانع الجليل و منسوجات الصنعة الإلهية و إما تذكر الجزئيات المادية المعرضة للتغير والتي تكون مناط مختلف الكيفيات والأحوال وما الى ذلك من الإشارات الكونية والبركات الإلهية، ثم تأتي الفذلكة تسوق العقل إلى اكتناه حقائق الصنعة الإلهية أو تحول الجزئيات المادية إلى حقائق ثابتة و تدعو العقل إلى الإعتبار و التفكر فيها.

ومن أمثلة هذا النوع: **(و إن لكم في الأنعام لعبرةً نسقيكم مما في بطونه من بين فرث و دم لبنا خالصا سائغا للشاربين و من ثمرات النخيل و الأعناب تتخذون منه سكرا و رزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون و أوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا و من الشجر و مما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)(النحل/66-69)**.

يقول النورسي في تفسير هذه الآيات: " تعرض هذه الآيات الكريمة أن الله تعالى جعل الشاة و المعزى و البقر و الإبل و أمثالها عن المخلوقات ينابيع خالصة زكية لذيذة تدفق الحليب و جعل سبحانه العنب و التمر و أمثالها أطباقاً من النعمة و جفاناً لطيفة لذيذة... كما جعل من أمثال النحل التي هي معجزة من معجزات القدرة ، العسلَ الذي فيه شفاء للناس، إلى جانب لذته و حلاوته. و في خاتمة المطاف تحث الآيات على التفكر و الإعتبار و قياس غيرها عليها بـ **(إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)**(نفس المصدر: 482-481).

3-3- الفذلكات المضمنة مقاصد القرآن الأساسية

و نظم الفذلكة ههنا يتلازم و يعانق نظم المقاصد. فالفذلكة بما أنها آية أوجزء آية تتوخى في نفسها نظماً و بما أنها خلاصة فقرات تتوخى نظماً آخر. فعلى سبيل المثال " إن القرآن الكريم قد يذكر من أفعال الله الدنيوية العجيبة و البديعة كي يعهد الأذهان للتصديق و يحضر القلوب للإيمان بأفعاله المعجزة في الآخرة أو أنه يصور الأفعال الإلهية العجيبة التي ستحدث في المستقبل و الآخرة بشكل يجعلنا نقنع و نطمئن إليه بما نشاهده من نظائرها العديدة.(نفس المصدر:485). ثم بعد ذلك يصرح بالمقصد الأساسي- و هو الحشر- في الخلاصة كنتيجة لدلائل متعددة منظمة. مثال هذا القسم **(أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين)** إلى آخر سورة "يس" ففيها دلائل و براهين مسوقة لإثبات قضية الحشر. فإنها تهييء الأذهان و تحضر القلوب حتى تأتي الفذلكة و تقول **(و إليه ترجعون).**

فالبحث عن النشأة الأولى و الإشارة إلى آلاء الله و إحسانه و إلى أنه لا يمكن أن يعجز عن إحياء الإنسان و إماتته، مَن خلق الكون و أعطى الآلاء و .... كل ذلك دليل واضح و برهان ساطع على الحشر (ينظر: نفس المصدر: 486-485).

ومن الجدير بالإشارة أن النظم الحاكم على الفذلكات كما أنه ليس داخلياً و بسيطا، لا ينحصر في خط واحد و خيط منفصل أيضاً . أي " لا تنظر الى تلك الآية التي هى فيها فقط،بل تنظر إلى مجموع القصة بل تمام السورة بل إلى جميع القرآن، لتساند الآيات و تلاحظها و تناظرها"(النورسي، 2008، المثنوى العربي النورى:267). فلابد أن ننظر إلى هذا النظم ضمن دائرة، بل دوائر متعددة متشابكة، فالخواتيم القرآنية تؤيد الآية أولاً و قبل كل شيء، ثم تأخذ بيد المخاطب لتخرجه من تشتت الجزئيات و تدخله مستقر الكليات لينظر بعين اليقين إلى تلك المقاصد الأساسية الموجودة في القرآن ككلٍ لا ينفصل و لا يتجزأ.

4- التكرار في دوائر النظم

لا نريد في هذا المبحث أن نكرر ما أتى به المفسرون و أهل البلاغة في هذا المجال من الفروع المختلفة و التقسيمات المتعددة، إذ أنها متوجهة الى المطاعن الواردة على القرآن الكريم غالباً(ينظر على سبيل المثال: العلوي اليمنى،1914،ج3:445-443). ولعل ما قال الزمخشري في تفسير الآيتين: **(إن في ذلك لآية و ما كان أكثرهم مؤمنين و إن ربك لهو العزيز الرحيم)(الشعراء/ 191-190)**، أجمل أهم الآراء المذكورة للمفسرين حينما قال:" فإن قلت: كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة و آخرها ما كرر؟ قلت: كل قصة منها كتنزيل برأسه و فيها من الإعتبار مثل ما في غيرها. فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها و أن تختتم بما اختتمت به. و لأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس و تثبيتاً لها في الصدور. ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها و كلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم و أثبت للذكر و أبعد من النسيان ، و لأن هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الإنصات للحق و قلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ و التذكير و روجعت بالترديد و التكرير لعل ذلك يفتح أذنا أو يفتق ذهناً أو يصقل عقلاً طال عهده بالصقل أو يجلو فهماً قد غطى عليه تراكم الصدأ(الزمخشري، 2009: 769).

ولا شك أن النورسي كان متأثراً من القدماء في حديثه عن التكرار فإنه يقول في المعجزات الأحمدية:" إعلم أن القرآن لأنه كتاب ذكر و كتاب دعاء و كتاب دعوة يكون تكراره أحسن و أبلغ بل ألزم و ليس كما ظنه القاصرون، إذا الذكر يكرر و الدعاء يردد و الدعوة تؤكد. إذ في تكرير الذكر تنوير وفي ترديد الدعاء تقرير وفي تكرار الدعوة تأكيد....فتكرار الآيات والكلمات إذن للدلالة على تكرر الإحتياج و للإشارة إلى شدة الإحتياج إليها و لتنبيه عرق الإحتياج وإيقاظه، وللتشويق على الإحتياج ولتحريك اشتهاء الإحتياج إلى تلك الأغذية المعنوية(النورسي،2008،المكتوبات: 261؛ أيضا ينظر : المثنوي العربي النوري:70و 189).

و لابد أن نشير إلى أن النورسي يجعل التكرار أحياناً ضمن دوائر النظم المتشابكة. فالآية الكريمة **(وإن ربك لهو العزيز الرحيم)** تتكرر ثماني مرات في سورة الشعراء وواضح أنها من الفذلكات والخلاصات القرآنية ولاشك أنها تبين لنا حقيقة - بل حقائق- كلما أتت بعد بيان قصص الأنبياء و تقول لنا:" إن مظالم أقوامهم تمس الغاية من الخلق وتتعرض إلى عظمة الربوبية المطلقة فتقتضي العزة الربانية عذاب تلك الأقوام الظالمة مثلما تقتضي الرحمة الإلهية نجاة الأنبياءعليهم السلام. فلو تكررت هذه الآية ألوف المرات لما انقضت الحاجة و الشوق اليها ، فالتكرار هنا بلاغة راقية ذات إعجاز و إيجاز"(النورسي،2008،الشعاعات : 307).

و كذا الآية الكريمة: **(فبأي آلاء ربكما تكذبان)** المكررة في سورة الرحمن و الآية الكريمة: **(ويل يومئذ للمكذبين)** المكررة في سورة المرسلات.

فالإحتياج - في نظرة النورسي- هو الدليل الأهم للتكرار في القرآن، المرتبط مباشراً بتوخي المعاني في سياق النص القرآني و كما رأينا أن كثيراً من هذه الآيات المكررة في القرآن يعد من الفذلكات لقرآنية أيضاً التي تشد برباط وثيق بما قبلها و بخيوط أخرى بسائر الآيات في السورة بل في كل القرآن.

والنورسي يرى أن للتكرار جهات و مقامات مختلفة و نظم التكرار له علاقة وثيقة مع نظم المقاصد في القرآن بل يتلازمان و يتحدان. فـــ "في البسملة جهات من الإستعانة و التبرك و الموضوعية بل الغايتية و الفهرستية للنقط الأساسية في القرآن و أيضاً فيها مقامات كمقام التوحيد و مقام التنزيه و مقام الثناء و مقام الجلال و الجمال و مقام الإحسان و غيرها. وأيضاً فيها أحكام ضمنية: كالإشارة إلى التوحيد و النبوة و الحشر و العدل، أعني المقاصد الأربعة المشهورة مع أن في أكثر السور يكون المقصودبالذات واحداً منها و الباقي استطراديا"(النورسي، 2008، إشارات الاعجاز:40).

هذا و فحوى كلام النورسي(ينظر: نفس المصدر: 39) يدل على أن لا تكرار في القرآن حقيقة. فإذا اختلفت المقامات و الوجوه، تختلف المعاني.و كل ما نرى من الألفاظ المكررة يتوخى معنى معيناً واقعاً في سلسلة نظم المعاني. و حتى القصص المكررة في القرآن لها الوجوه المختلفة و الأعراض المتفاوتة:

"فإن قصة موسى أجدى من تفاريق العصا أخذها القرآن بيدها البيضاء فضة فصاغتها ذهباً، فخرت سحرة البيان ساجدين لبلاغته"(نفس المصدر).

5- إرسال النظم في القرآن

يعد هذا المصطلح من أهم المفاهيم المذكورة في" إشارات الإعجاز" و الذي لم يسبق اليه أحد قبل النورسي. ولعله كان وجهاً مهماً من وجوه التسمية لكتابه أيضاً، فإن عنوان الكتاب كاملاً هو:(إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز)، فالإيجاز- كما علمنا- له دور هام في المنهج التفسيرى المتكامل عند النورسي و يأتي في المرتبة الثانية بعد النظم في جوه الإعجاز عنده.

والمراد من إرسال النظم، أن القرآن في كثير من العبارات لم يضع أمارة على وجهٍ خاص من وجوه التراكيب نظراً لاختلاف أحوال المخاطبين. يقول النورسي:

" إعلم أن القرآن أرسل النظم أي لم يعين بوضع أمارة وجهاً من وجوه التراكيب في كثير من أمثال هذه الآية لسر لطيف هو منشأ الإيجاز الذي هو منشأ الإعجاز و هو أن البلاغة هي مطابقة مقتضى الحال و الحال أن المخاطبين بالقرآن على طبقات متفاوتة و في اعصار مختلفة. فلمراعاة هذه الطبقات و لمجاورة هذه الأعصار ليستفيد مخاطب كل نوع ما قدر له من حصته حذف القرآن في كثير للتعميم و التوزيع و أطلق في كثير للتشميل و التقسيم و أرسل النظم في كثير لتكثير الوجوه و تضمين الإحتمالات المستحسنة في نظر البلاغة و المقبولة عند العلم العربي ليفيض على كل ذهن بمقدار ذوقه"(نفس المصدر: 56).

فكل آيةٍ في القرآن- كما أشرنا إليه سابقاً- مرتبط بسابقتها و في كثير من الآيات تعتبر في هذا الإرتباط خيوط متعددة مناسبة و لكن من دون وضع أمارات و علامات، رعاية لجانب الإيجاز الذي يلازم النظم في جميع الأحوال.

ففي تفسير آية: **(و الذين يؤمنون بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك و بالآخرة هم بوقنون)(البقرة/4)**، اعتبر النورسي في علاقتها بسابقتها أربعة أوجهٍ: التخصيص بعد التعميم و التنصيص و التلويح و التفصيل بعد الإجمال. يقول:" ثم ان وجه نظم هذه الآية بسابقتها: التخصيص بعد التعميم ليعلن على رؤوس الأشهاد شرف مَن آمن مِن أهل الكتاب و ليرد يد استغناء أهله في أفواههم و ليأخذ يد أمثال"عبدالله بن سلام" و يشوق غيره لأن يأتم به.و أيضاً التنصيص على قسمَي المتقين للتصريح بشمول هداية القرآن لكافة الأمم. و التلويح لعموم رسالة محمد- عليه السلام- لقاطبة الملل. و أيضا التفصيل بعد الاجمال لشرح أركان الايمان المندمجة في صدف **(يؤمنون بالغيب)**. إذ دل على الكتب والقيامة صراحةً وعلى الرسل والملائكة ضمناً"(نفس المصدر:56)، فليعتبر كل مخاطب ماشاء مما يليق بحاله من هذه الإعتبارات المختلفة.

و هكذا نرى إشارات متعددة إلى هذا الأمر- وإن كان تفسير النورسي للقرآن لا يتجاوز سورة الفاتحة و ثلاثا و ثلاثين آية من البقرة- ففي آية: **(أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون)(البقرة/5)** أشار إلى أن هذا الإستيناف يمكن أن يكون جواباً لثلاثة أسئلة مقدرة: السؤال عن المثال و السؤال عن العلة و السؤال عن نتيجة الهداية و ثمرتها و النعمة و اللذة فيها(ينظر: نفس المصدر69-68).

نتائج البحث

يمكن أن نلخص نتائج هذا البحث فيما يلي:

1- يقوم منهج بديع الزمان النورسي في التفسير و بيان إعجاز القرآن على أساس نظرية النظم التي اخترعها الجرجاني. فحاول تطبيقها في تفسير الآيات في كتابه القيم" إشارات الاعجاز" و بلغت جهوده – أيضاً- في إكمال هذه النظرية إلى أن نستطيع أن نقول إنها عنده أحسن وأتم مما عند الجرجاني.

2-ربط النورسي نظرية النظم في القرآن بنظم المقاصد. فالقرآن نزل لإثبات مقاصد أساسية و عناصر أصلية هي: التوحيد و النبوة و الحشر و العدالة؛ و القرآن يتوخى هذه المقاصد مجتمعة من دون انفكاك في كل الآيات و السور.فنظم المعاني- عنده- يتلازم نظم المقاصد.

3-النظم القرآني عند النورسي لا ينحصر في خيط واحدٍ فقط، بل هو نقوش تحصل من نسج خطوط متشابكة قرباً و بعداً. فالآية لها ارتباط وثيق بسابقتها كما لها ارتباطات بسائر الآي من نفس السورة.

4-إن للفواصل القرآنية- في الإتجاه النورسي-سراً عظيماً و أسلوباً بديعاً. فهي من جانب تتضمن المقاصد الأساسية في القرآن و من جانب آخر تدخل في دوائر متشابكة من النظم القرآني.

5-يرى النورسي أن للتكرار جهات و مقامات مختلفة و نظم التكرار له علاقة وثيقة مع نظم المقاصد في القرآن. و كل ما نرى منالألفاظ المكررة يتوخى معنى معيناً واقعاً في سلسةنظم المعاني.

6-يعد"إرسال النظم" من المصطلحات الجديدة في كتاب" إشارات الاعجاز" بمعنى أن القرآن لم يضع أمارة على وجه خاص من وجوه التراكيب في كثير من الآيات الكريمة نظراً لاختلاف أحوال المخاطبين . فأوجز القرآن و حذف ليتبادر ذهن كل مخاطب الى مايليق بحاله. فنستطيع أن نقدر في نظم آية و ارتباطها مع سابقتها وجوهاًمختلفةً .

المصادر و المراجع

القرآن الكريم

أرسطو: ***فن الشعر***(د.تا)، ترجمة و تقديم و تعليق دكتور ابراهيم حمادة،القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

الجرجاني، أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد:***دلائل الإعجاز***(2000م)، قرأه و علق عليه محمود محمد شاكر، القاهرة،مكتبة الخابخي.

الدغامين،زياد خليل: ***من قضايا القرآن و الانسان في فكر النورسي، نظرة تجديدية و رؤية إصلاحية***(د.تا)، مأخوذ من موقع النور الالكتروني.

الزمخشرى، ابوالقاسم جارالله محمود بن عمر الخوارزمى: ***تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل***(2009م)، تحقيق خليل مأمون شيحا، بيروت، دارالمعرفة.

شكرى، أحمد خالد: ***بحوث في الإعجاز و التفسير في رسائل النور***(د.تا)، مأخوذ من موقع النور الالكتروني.

الضامن،حاتم: ***نظرية النظم***(1979م)، بغداد، دارالحرية.

العلوي اليمني، يحيى بن حمزة بن على بن ابراهيم:***الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الاعجاز***(1914م)،القاهرة، مطبعة المقتطف.

مراد، وليد محمد: ***نظرية النظم و قيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني***(1982م)، ط1، دمشق،دارالفكر.

النورسي، بديع الزمان سعيد: ***إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز***(2008م)، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ط5، القاهرة، شركة سوزلر للنشر.

_____:***الشعاعات***(2008م)، تحقيق إحسان قاسم الصالحي،ط5، القاهرة،شركة سوزلر للنشر.

_____: ***الكلمات*** (2008م)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط5، القاهرة، شركة سوزلر للنشر.

_____:

المثنوي العربي النوري(2008م)، تحقيق إحسان قاسم الصالحى ط5، القاهرة، شركة سوزلر للنشر.

______________________________: ***المكتوبات***(2008م) ،
ترجمة إحسان قاسم الصالحى ط5، القاهرة، شركة سوزلر للنشر.

واحدة، شكران: ***الإسلام في تركيا الحديثة "بديع الزمان النورسي"***(2007م)، ترجمة عن الانجليزية محمد فاضل، المراجعة إحسان قاسم الصالحي، د.مط.